Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

غير أن بشاراً نفسه كان يحس أن كل شيء ينبغي أن يقاس في موضعه ، والذي أنكر ريح البصل مثلاً ، لما توحي به مما لا يوافق مسك المحبوب ، لا يستطيع أن ينكر مثلاً زيت « ربابة » وخلها : « حدثنا أحمد بن خلاد ، قال : حدثني أبي قال : قلت لبشار : يا أبا معاذ ، إنك لتجيء بالأمر المهجَّن . قال : وما ذاك ؟ قلت : إنك تقول :

إذا ما غضبنا غضبة مضرية هتكنا حجاب الشمس أو مطرت دما
إذا ما أعرنا سيداً من قبيلة ذرى منبر صلى علينا وسلما

ثم تقول :

ربابة ربّةُ البيت تصب الخل في الزيت
لها عشرٌ دجاجات وديك حسن الصوتِ

فقال : كل شيء في موضعه ، وربابة هذه جارية لي ، وأنا لا آكل البيض في السوق ، فربابة هذه لها عشر دجاجات وديك ، فهي تجمع علي البيض ، وتحظره ، فكان هذا من قولي لها أحبَّ إليها ، وأحسن عندها من « قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل » .

فها هنا تصوير فني للحظة عابرة من لحظات الحياة اليومية ، ليس من الضروري أن يعبر عنها في معلقة من المعلقات ، ولا بد من القول إن هذه النماذج تنم بلا ريب على طور ذوقي راق فرضته الحياة الراقية المترفة في العصر العباسي ، وليس هذا ما يعنينا بقدر ما يعنينا أنه لم ينقلب الى طور عقلي ، ولعل أوضح ما يؤكد لنا ذلك أن السؤال التقليدي في النقد : أفلان أشعر أم فلان ، لم ينقرض في هذا العصر ، وإن رافقه في الجواب شيء من التعليل العابر : « حدثني أبو حاتم السجستاني ، قال : قلت للأصمعي ؛ أبشار أشعر أو مروان ؟ قال : فقال : بشار أشعرهما . قلت وكيف ذاك ؟ قال : لأن مروان سلك طريقاً كثر